المسؤولية الاجتماعية بين الرؤيا الإسلامية والرؤية الوضعية المعاصرة ودورها في التنمية المستدامة.

د. موسى رحماني **أ.فطوم حوحو**

(جامعة بسكرة) **(جامعة بسكرة)**

مقدمة:

يعيش العالم العديد من المشكلات الاقتصادية، فيما يخص استخدام الموارد، أو التوظيفات المالية، أو العائد من العمليات الاقتصادية والمالية ومن واجب الإنسان الاهتمام بهذه النظم، ولكن الواقع هو شقاء الإنسان هنا وهناك، فانتشر الفقر والجوع والبطالة والحروب والصراعات من أجل مقدرات وموارد اقتصادية، وأصبحنا نعيش حالة من الصراع مع البيئة التي يفترض أن نكون في حالة صداقة معها.ومع سيطرة النظام الرأسمالي وتفاقم مشكلات وتداخلها مع بعضها لتصل إلى مرحلة أو حالة مركبة، لتنصب الجهود إلى مجرد معالجة هذه المشكلات، ولا يكون هناك مجال للارتقاء بالمستوى المعيشي اللائق بالإنسان.من هنا وجدت دعوة تبني نموذج التنمية المستدامة، بمعنى (استمرار التنمية بجوانبها المختلفة) على اعتبار أنها هي النموذج المقبول، حيث إنها تراعي الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والمالية والبيئية طوال ممارسة الحياة الاقتصادية. وتبقى المرجعية التي تقوم عليها فكرة التنمية المستدامة مهمة، خاصة في ظل التحديات التي تواجهها شعوب العالم.

من هذا المنطلق ظهرت العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والتنمية المستدامة، كما أننا وجدنا أن الإسلام كان السباق إلى تجسيد هذه العلاقة غير أن المسؤولية الاجتماعية من منظور إسلامي لم تأخذ حظها الوافر من التأصيل والدراسة وهي تحتاج إلى إثراء و بحث، إلى جانب أن نصوص الشريعة الإسلامية لا تخلوا من القيم الاجتماعية المثالية لأن الشريعة الخالدة متوافقة مع متطلبات الحياة الإنسانية في جميع مراحلها وتطوراتها، وهي متوافقة حتما مع حاجيات الحياة الإنسانية في هذا العصر، مصداقا لقول الله عز وجل (وكل شيء فصلناه تفصيلاً)(سورة الإسراء/الآية 12).

من هنا برزت إشكالية بحثنا المتمثلة في: **كيف تساهم المسؤولية الاجتماعية في تحقيق التنمية المستدامة؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية قسمت الدراسة إلى النقاط التالية:

I. ماهية المسؤولية الاجتماعية.
II. المسؤولية الاجتماعية رؤية إسلامية ووضعية معاصرة
III. المسؤولية الاجتماعية ودورها في التنمية المستدامة

I. ماهية المسؤولية الاجتماعية.

حتى وقتنا الراهن، لم يتم تعريف مفهوم المسؤولية الاجتماعية بشكل محدد يكتسب بموجبه قوة إلزام قانونية وطنية أو دولية، ولا تزال هذه المسؤولية في جوهرها أدبية ومعنوية، أي إنها تستمد قوتها وانتشارها من طبيعتها الطوعية الاختيارية. فقد تعددت صور المبادرات والفعاليات بحسب طبيعة البيئة المحيطة، ونطاق نشاط الشركة وأشكاله، وما تتمتع به كل شركة من قدرة مالية وبشرية. هذه المسؤولية بطبيعتها ليست جامدة، بل لها الصفة الديناميكية والواقعية وتتصف بالتطور المستمر كي تتلاءم بسرعة وفق مصالحها وبحسب المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

إن المسؤولية الاجتماعية تعني بصورة عامة" تحقيق النجاح التجاري بأساليب تراعي القيم الأخلاقية واحترام الأفراد والمجتمعات المحلية وبيئتهم الطبيعية " كما تعني معالجة الجوانب القانونية والأخلاقية والتجارية وغيرها من التوقعات التي ينتظرها المجتمع من الأعمال التجارية، واتخاذ قرارات[1]

1. تطور مفهوم المسؤولية الاجتماعية.

وردت مؤشرات أهمية المسؤولية الاجتماعية منذ أوائل العشرينات من القرن 20، حينما أوضح "Sheldon" على أن مسؤولية كل مؤسسة تتحدد من خلال أدائها الاجتماعي و المنفعة المحققة للمجتمع، ثم توالت أبحاث أخرى فقد أوصى المؤتمر المنعقد في جامعة كاليفورنيا عام 1972 تحت شعار "المسؤولية الاجتماعية والبيئية للمؤسسات" بضرورة إلزام كافة المؤسسات برعاية الجوانب الاجتماعية للبيئة و المساهمة في التنمية الاجتماعية و التخلي عن فلسفة تعظيم الربح كهدف وحيد.

و مع استجابة المؤسسات لهذا الطرح الجديد وضع المشرع القانوني قواعد تضفي على هذه الأفكار سمة الإلزام للتأكيد على أن الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية لم تعد اختيار أمام المؤسسات إنما هو أمر ملزم إذا رغبت هذه المؤسسة في الاستمرار و عليه ظهرت دراسات الجمعية القومية للمحاسبين و جمعية المحاسبين الأمريكية و دراسات المعهد الأمريكي للمحاسبين القانونيين للتأكيد على أهمية الإفصاح عن الأداء الاجتماعي حيث اتجهوا لإرساء الأسس اللازمة لقياس فاعلية البرامج الاجتماعية للمؤسسات.

كانت هذه الاتجاهات هي المنطلق الأساس لنشر الوعي الاجتماعي في إطار المحيط الاقتصادي و المحاسبي في بقية دول العالم فقد طالب مجمع المحاسبين القانونيين بانجلترا وويلز المؤسسات بضرورة تضمين التقارير المالية نتائج الأداء الاجتماعي ، أما في فرنسا فقد نادت الجمعيات المحاسبية المهنية بضرورة إلزام المنظمات المهنية بالإفصاح عن أدائها الاجتماعي لمعرفة درجة الالتزام الاجتماعي عندها.

و في سنة 1999 تم الاقتراح الأولي للميثاق العالمي للمسؤولية الاجتماعية من قبل الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك السيد كوفي عنان، في خطابه أمام المنتدى الاقتصادي العالمي، في حين انبثق الميثاق النهائي في مقر الأمم المتحدة بنيويورك سنة 2000، و هو عبارة عن مبادرة مواطنة طوعية متعلقة بالمؤسسات يعرض تسهيلا و تعهدا من خلال عدة آليات(سياسات الحوار، المعرفة، شبكات محلية ومشاريع الشراكة) و يعتمد هذا الميثاق على المسؤولية الاجتماعية العامة

بما في ذلك شفافية المؤسسات و القوى العاملة، و المجتمع المدني للبدء و المشاركة في الأداء الجوهري المتعلق بمتابعة المبادئ المستند عليها في الميثاق و تتعلق هذه المبادئ بحقوق الإنسان، ظروف العمل، البيئة ومحاربة الفساد.[2]

2. مفهوم المسؤولية الاجتماعية:

هناك عدة تعريفات للمسؤولية الاجتماعية للشركات، تختلف باختلاف وجهات النظر في تحديد شكل هذه المسؤولية .فالبعض يراها بمثابة تذكير للشركات بمسؤولياتها وواجباتها إزاء مجتمعها الذي تنتسب إليه، بينما يرى البعض الآخر أن مقتضى هذه المسؤولية لا يتجاوز مجرد مبادرات اختيارية تقوم بها الشركات صاحبة الشأن بإرادتها المنفردة تجاه المجتمع .ويرى آخرون أنها صورة من صور الملائمة الاجتماعية الواجبة على الشركات .إلا أن كل هذه الآراء تتفق من حيث مضمون هذا المفهوم.

- ✓ المسؤولية الاجتماعية هي التزام أخلاقي بين المنظمة و المجتمع، تسعى من خلاله المنظمة إلى تقوية الروابط بينها و بين المجتمع بشكل عام، و الذي ينعكس بدوره على نجاحها و تحسين أدائها المستقبلي.
- ✓ يرى كارول (Carrol) أن المسؤولية الاجتماعية الكلية للمنظمة تشمل على مستويات أربعة هي: كفاءة الأداء الاقتصادي (المستوى الأول) ، فيجب أن تعمل المنظمة على إنتاج السلع و الخدمات بفعالية ونجاح و أن تسعى لتحقيق مستويات الأرباح المطلوبة، و يجب أن يتم ذلك في ضوء الالتزام بالقوانين و التشريعات (المستوى الثاني) التي تعمل المنظمة في ظلها، هذا و ينتظر المجتمع من المنظمة أن تهتم بالمسؤوليات الأخلاقية (المستوى الثالث) تجاه المجتمع الذي تعمل فيه، إذ يجب مراعاة العدالة و الأمانة في معاملاتها مع العاملين بها و المتعاملين معها، أما المسؤوليات التطوعية التقديرية (المستوى الرابع و تسمى أيضا المسؤولية الخيرة) فترجع إلى مدى شعور و تقدير المنظمة لمتطلبات بيئتها و العمل على المشاركة فيها، كإعداد برامج تدريب المعوقين و إتاحة فرص العمالة و تمويل البرامج الخيرية و غيره.[3]
- ✓ عرف (Drucker) المسؤولية الاجتماعية بأنها التزام المنشأة تجاه المجتمع الذي تعمل فيه.
- ✓ عرفها (Holmes) هي التزام على منشأة الأعمال تجاه المجتمع الذي تعمل فيه و ذلك عن طريق المساهمة بمجموعة كبيرة من الأنشطة الاجتماعية مثل محاربة الفقر و تحسين الخدمات الصحية و مكافحة التلوث، و خلق فرص عمل و حل مشكلة الإسكان و المواصلات و غيرها.
- ✓ عرف مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة المسؤولية الاجتماعية على أنها الالتزام المستمر من قبل شركات الأعمال بالتصرف أخلاقيا و المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية و العمل على تحسين نوعية الظروف المعيشية للقوى العاملة و عائلاتهم و المجتمع ككل.
- ✓ يعرف البنك الدولي المسؤولية الاجتماعية على أنها التزام أصحاب النشاطات الاقتصادية بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع المجتمع المحلي بهدف تحسين مستوى معيشة السكان بأسلوب يخدم الاقتصاد و

يخدم التنمية في آن واحد، كما أن الدور التنموي الذي يقوم به القطاع الخاص يجب أن يكون بمبادرة داخلية و قوة دفع ذاتية من داخل صناع القرار في المؤسسة.

- ✓ المنظمة العالمية للمعايرة تعتبر المسؤولية الاجتماعية بأنها نشاطات للمنشأة لتحمل المسؤولية الناجمة عن أثر النشاطات التي تقوم بها على المجتمع و المحيط لتصبح نشاطاتها منسجمة مع منافع المجتمع و التنمية المستدامة ، ترتكز المسؤولية الاجتماعية على السلوك الأخلاقي ، احترام القوانين و الأدوات الحكومية و تدمج مع النشاطات اليومية للمنشأة[4].

3. نطاق المسؤولية الاجتماعية.

تساهم الشركات والمؤسسات الخاصة في تفعيل المسؤولية الاجتماعية من خلال عدة جوانب أهمها:

الجانب الثقافي:

- ✓ دعم التطور الثقافي والحضاري.
- ✓ نشر ثقافة الالتزام بالأنظمة والقوانين في المجتمع.
- ✓ تعزيز الثقافة الوطنية والتاريخية، التواصل الثقافي العالمي.

الجانب الاجتماعي:

- ✓ احترام الأنظمة والقوانين والثقافات المختلفة.
- ✓ تعزيز القيم الأخلاقية والتكافل الاجتماعي و دعم الأنشطة الرياضية والصحية.
- ✓ مواجهة الكوارث والأزمات.

الجانب البيئي

- ✓ الممارسات الصحية والبيئية الصحيحة في العملية الإنتاجية.
- ✓ تطوير بيئة العمل.
- ✓ الالتزام البيئي على المستوى المحلي والعالمي ISO1400

الجانب الاقتصادي:

- ✓ دعم الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.
- ✓ الالتزام بالأنظمة والقوانين في ممارسة العملية الاقتصادية "جانب أخلاقي".
- ✓ الاهتمام بالموظفين من خلال تدريبهم وتطويرهم والتعامل معهم من خلال مبدأ تكافئ الفرص والمساواة

الجانب القانوني:

- ✓ الالتزام بالقوانين المحلية والوطنية أثناء ممارسة النشاط الاقتصادي.
- ✓ مراعاة القوانين العالمية والدولية.
- ✓ الشفافية في نشر الأنظمة والقوانين العالمية والدولية للاطلاع عليها من قبل جميع الموظفين والجهات القانونية الأخرى.[5]

4. صور المسؤولية الاجتماعية .

أ – المشاركة:تعد المشاركة مفهوما ديمقراطيا يقوم على ضرورة مشاركة أفراد المجتمع المحلي في تحقيق التنمية الاجتماعية و هي أعلى درجات مداخل المسؤولية الاجتماعية و تكون المشاركة مشاركة بالرأي و المقترحات و الجهد و العمل أو مشاركة مادية عن طريق المشروعات و التبرعات أو المشاركة في عملية التخطيط و التنفيذ و التنسيق و المتابعة أو التقويم بهدف الوصول إلى مستوى تنمية أفضل.

ب – التعاون:هو أحد المظاهر الاجتماعية التي تهدف إلى التعاون في عمل أو مسؤولية مع جهة أخرى ما لتحقيق هدف مشترك قد يكون مباشرا أو غير مباشر و التعاون إما أن يكون اختياري كتعاون الأفراد في مساعدة المحتاجين أو أثناء الزلازل و الكوارث الطبيعية أو إجباريا حيث تكون صفة الإجبار نتيجة العمل و الظروف المحيطة به ،أما التعاون التعاقدي فيتمثل في التنظيمات الاجتماعية و الاقتصادية التي تتم على أسس تعاقدية مثل الجمعيات التعاونية و الخيرية التي تحكمها دوافع التعاطف أو وجود أهداف مشتركة بين أفرادها.

ت – الاهتمام: الاهتمام هو أساس العلاقات الاجتماعية و الدوافع للتغير للأفضل و العمل ايجابيا و هو أساس المسؤولية الاجتماعية الأخرى كالمشاركة و التعاون.[6]

5. أهمية المسؤولية الاجتماعية

إن الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية لم يكن دوما طوعيا، فالعديد من الشركات والمؤسسات والمجتمعات أصبحت على وعي بها فقط بعد أن تفاجئوا بردود الجمهور حول قضايا لم يعتقدوا من قبل أنها جزء من مسؤولياتهم، وقد أصبحت ذات أهمية في مجال الأعمال نتيجة لعدة عوامل من بينها:

- ✓ سلوك الشركات السيئ اتجاه العملاء و معاملتهم بصورة غير عادلة.
- ✓ تجاهل البيئة ونتائج الأعمال التنظيمية.
- ✓ سلسلة إمداد الشركة، أي ما يحدث في الشركات الأخرى التي تتعامل معهم الشركة، كمورديها وموردیهم.[7]

ومن فوائد تطبيق المسؤولية الاجتماعية بناء علاقات قوية وايجابية في المجتمع حيث تساهم في تحسين سمعة الشركات وإبراز التوجه الإنساني مما يعزز ارتباطها بالمجتمع، أما فوائد المسؤولية الاجتماعية للمجتمع بذاته القدرة على الحصول على الخدمات التي يحتاجها في مختلف الجوانب الضرورية مثل النقص في الخدمات التعليمية أو الصحية أو الثقافية أو الاقتصادية في المجتمع [8]

II. المسؤولية الاجتماعية رؤية إسلامية ووضعية معاصرة

كان ظهور المسؤولية الاجتماعية في النظم الوضعية كرد فعل على بعض الممارسات و لمعالجة سلبيات النظام الرأسمالي فالمسؤولية الاجتماعية في الفكر الغربي المعاصر هي محاولة للالتفاف حول صورة الشركة و تحسينها و جعلها خيرة و إنسانية، و هذا من باب السعي إلى الربح من دون أي عراقيل، فهي نظرة نسبية و متغيرة، و هي متجذرة في الملاحظة التجريبية و النظريات البنائية المرتبطة بها، فهي إذن نظرة مادية أكثر منها أخلاقية على عكس النظام الإسلامي فإن أداء المسؤولية الاجتماعية جزء عضوي من الدين لصحة العقيدة والشريعة.

1. المسؤولية الاجتماعية في النظام الإسلامي

تعرف المسؤولية لغة بأنها ما يكون به الإنسان ملزما و مطالبا بعمل يقوم به، أما اصطلاحا فقد عرفها الشافعي بأنها الاستعداد الفطري الذي جبل الله تعالى عليه الإنسان ليصلح للقيام برعاية من كلفه الله به من أمور تتعلق بدينه ودنياه فإن وفي ما عليه من الرعاية حصل له الثواب وان كان غير ذلك حصل له العقاب، فالمسؤولية الاجتماعية ركن إسلامي أصيل وهناك الكثير من الدلائل القرآنية و الأحاديث الشريفة تبين أن الإسلام أعطى أولوية للعمل الخيري و المسؤولية الاجتماعية ابتغاء مرضاة الله و ليس لأي غرض دنيوي، فضلا عما يمكن أن يناله المتطوع في الحياة من بركة و سكينة نفسية و سعادة روحية لا تقدر بثمن، كما أن عمل الخير و إشاعته و تثبيته من المقاصد الشرعية أو الضرورات الأصيلة التي تم حصرها في خمس و هي : المحافظة على الدين، و على النفس، و النسل، و العقل، و المال و زاد بعضهم سادسة و هي المحافظة على العرض، فحقوق المسلم كلها مسؤوليات اجتماعية، و إن كان الفرد مطالبا بمسؤولية اجتماعية، فعلى مستوى الجماعات و الشركات و البنوك تكون المسؤولية أعظم.[9]

ونجد أن القران الكريم والسنة النبوية أكدوا على ضرورة وأهمية المسؤولية الاجتماعية لدى كل المجتمعات ومن بين هذه الأدلة:

- "فمن تطوع خيرا فهو خير له"[10]
- "و آتى المال على حبه ذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل" [11]
- "و في أموالهم حق للسائل و المحروم"[12]
- "من يعمل مثقال ذرة خيرا يره"[13]
- قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:"لا ضرر و لا ضرار" (رواه ابن ماجة و الدراقطني).
- و قوله صلى الله عليه و سلم:"كل سلامي من الناس عليه صدقة: كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، و تعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، و الكلمة الطيبة صدقة، و كل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، و تميط الأذى عن الطريق صدقة" (متفق عليه).
- و قال صلى الله عليه و سلم: "خير الناس أنفعهم للناس" (رواه ابن ماجة)

- و قوله صلى الله عليه و سلم : "كلكم راع و مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع و هو مسئول عنهم، و الرجل راع على أهل بيته، و هو مسئول عنهم، و المرأة راعية على بيت بعلها وولده، و هي مسئولة عنهم، و العبد راع على مال سيده، و هو مسئول عنه، ألا و كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته"(رواه البخاري).
- و قوله صلى الله عليه و سلم :"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه و لا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، و من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، و من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" (متفق عليه).
- و يقول صلى الله عليه و سلم: "مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى" (متفق عليه).

2. المسؤولية في التشريع الإسلامي.

تتحدد المسؤولية الاجتماعية في الإسلام من خلال ثلاثة جوانب هامة :

- ✓ **مسؤولية الفرد تجاه نفسه:**إن تكريم الله للإنسان و تفضيله على غيره من المخلوقات، و تسخيره له ما في السماوات و الأرض، هي دعوة لهذا الإنسان لأن يحافظ على بدنه و حياته و بقائه، باعتماد النظافة و الطهارة في الجسم و الثوب و المكان، و ممارسة الرياضة، و الأكل من الطيبات و الوقاية من الأمراض و معالجتها، و أن يعمل على ضبط غرائزه و أن يصرف همته إلى اكتساب الصفات الحميدة، و أن يحسن أخلاقه في تعاملاته مع الغير، ليكون في النهاية محلا لأمانة التكليف و القيام بالعمل الصالح الذي يساعده على التعايش مع الجماعة و يوطد علاقات التماسك و التعاون.
- ✓ **مسؤولية المجتمع عن بعضه بعضا:**الفرد المسلم مسئول عن المجتمع الذي يعيش فيه، فهو جزء منه و الجزء لا ينفصل عن الكل، و الغاية العليا هي سعادة الكل، و ربط القلوب بأواصر المحبة و الأخوة، لقد اجمع الفقهاء على وجوب نفقة الموسر على قريبه المعسر و انه يجب على الأغنياء أن يقوموا بكفاية فقرائهم إذا لم تكف الزكاة.
- ✓ **مسؤولية الدولة عن الفرد و المجتمع:**بالرغم من الواجبات المالية التي فرضها الله على المسلمين للفقراء، فان الدولة مسئولة عن الفقراء و المحتاجين، و يحق لكل فقير أن يطالب الدولة بالإنفاق عليه، و هذه المسؤولية تجعل الدولة مسئولة عن جميع أفراد المجتمع.[14]

3. رؤية وضعية معاصرة

في عام 1962 كتب الاقتصادي الأميركي الشهير ميلتون فريدمان في كتاب له بعنوان (الرأسمالية والحرية) يقول:

إن المسؤولية الاجتماعية الوحيدة التي تقع على عاتق المسؤولين التنفيذيين في الشركات التجارية هي زيادة ما تحققه شركاتهم من دخل إلى أقصى حد ممكن، وما يتكون من ثروة لدى حملة أسهمها.لكن الزمان تغير الآن، وأصبحت الشركات التقدمية هي التي تؤمن بالإصلاح الاجتماعي وهي التي تدرك تماماً أن زيادة أرباحها إلى أقصى حد ممكن ليس وحده هو كل ما يهم بالنسبة لممارسة أعمالهم التجارية.

فالشركات التجارية يجب أن تساهم أيضا في تحقيق الخير العام على نطاق واسع، وأن تعامل موظفيها على أقل تقدير، باحترام وتراعي الحفاظ على كرامتهم. والاهتمام بكل تلك العوامل أثناء ممارسة الأعمال التجارية هو ما يطلق عليه تعبير المسؤولية الاجتماعية للشركات التجارية.

4. المسؤولية الاجتماعية بين الرؤية الإسلامية و الرؤية الوضعية المعاصرة

يمكن تمييز الاختلافات التالية بين مفهوم المسؤولية الاجتماعية في المفهوم الوضعي المعاصر و تلك المنصوص عليها في المنظور الإسلامي:

- ✓ **أصالة المسؤولية الاجتماعية في النظام الإسلامي:**

المسؤولية الاجتماعية ليست دخيلة على النظام الإسلامي كما في النظام الرأسمالي، وليست بديلا وحيدا كما في النظام الشيوعي وإهمالا للمصلحة الذاتية لمالك المال، وتستند هذه الأصالة إلى أن ملكية المال في المنظور الإسلامي لله عز وجل، استخلف الإنسان فيه، وبالتالي فإن لله سبحانه حقاً في المال، وحق الله في التصور الإسلامي هو حق المجتمع، وفي ذلك يقول الله تعالى: {وَآتُوهُم من مالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}[15] ، ودليل أن الأداء الاجتماعي هو أداء لحق الله تعالى قوله عز وجل: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[16] ، هذا في الوجوب، أما في الاستحباب والتطوع، فإن الأداء الاجتماعي يستند إلى قيم الأخوة الإنسانية والرحمة والتعاون، قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ على الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ على الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[17]

- ✓ **اختلاف باعث القيام بالمسؤولية الاجتماعية:**

باعث القيام بالمسؤولية الاجتماعية في ظل الفلسفة المادية، هو معالجة فشل الرأسمالية في تحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان استمرار الشركات في مجال عملها، كما أنها تساعد في تعزيز مصداقية المنشأة والثقة في أعمالها، أي أنه باعث مادي بحت .

أما في المنظور الشرعي، فباعث هذا الدور هو روحي يتمثل في التكليف الشرعي الرباني الذي يقوم به الإنسان طلبا لثواب الله، و مناطه الأخلاقيات الإسلامية التي تأخذ بزمام كل فضيلة، فتجعلها مطلوبة، فبعضها على سبيل الاستحباب، وبعضها على سبيل الوجوب،بحسب المصالح المترتبة عليها في الدنيا والآخرة، فالزكاة والحقوق الواجبة للأقارب والجيران و الكفارات ملزمة شرعاً، والوقف والصدقات التطوعية الأخرى تدخل في مجال الالتزام الذاتي من المسلم يقوم بها لنيل الثواب الذي هو جزاء محقق.

- ✓ **شمولية المسؤولية الاجتماعية في الإسلام للجوانب الروحية إضافة إلى الجوانب المادية:**

إن المسؤولية الاجتماعية التي حث عليها الإسلام كتنظيم اجتماعي يؤسس لبناء مجتمع مستقر ومتماسك تكتمل فيه جميع العناصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، و هي لا تتوقف عند حد المساهمات المادية أو

العينية كما هو حاصل في المنظور الوضعي، إنما تتعداه إلى غرس روح المحبة و الألفة و الرحمة كلبنة لخلق المجتمع المسلم المستقر والمستمر عبر العصور من خلال الحقوق والواجبات والأوامر والنواهي في شتى مجالات الحياة الاجتماعية.[18]

- ✓ **تنظيم التشريع الإسلامي لقواعد تطبيق الالتزامات الاجتماعية:**

لم يتوقف التشريع الإسلامي عند حد الأمر والحث على أداء المسؤولية الاجتماعية وإنما نظم كيفية هذا الأداء في آليات محددة بدقة، يتضح هذا في فقه الزكاة وفقه الوقف والحقوق الواجبة للعمال والإحسان والسماحة مع العملاء والموردين ونحو ذلك من الأحكام الرشيدة للمعاملات المالية، ففي النظام الإسلامي فإن نطاق المسؤولية الاجتماعية في الجانب الملزم شرعا، محدد بدقة في معدلات زكاة كل مال، وتتراوح هذه المعدلات بين 2.5 % إلى 20 %، بالإضافة إلى مراعاة العدل في الحقوق المالية والمحافظة على الموارد المشتركة، مثل: الطرق والجسور والغابات والمياه والهواء وكف الأذى عنها وعن الناس كافة، وتمثل الصدقات أحد أساليب الأداء الاجتماعي، و لا تقتصر على الإعانة بالمال وإنما تمتد لاستخدام كل الإمكانيات لإفادة المجتمع.[19]

- ✓ **المسؤولية الاجتماعية في الإسلام تستمد إلزاميتها من قوة الاعتقاد الديني :**

إن قوة اعتقاد المسلم من وجوب أدائه لالتزاماته تجاه المجتمع الذي يعيش فيه نابعة من قوة إيمانه و اعتقاده بوجوب تسخير و توجيه نشاطه الاقتصادي في مرضاة الله، و لا شك أن الدافع الديني أقوى من أي دافع مادي آخر و يكون له بالغ الأثر على الفرد و على ممارساته و أخلاقه، يغيب هذا الدافع في الاقتصاديات الوضعية بينما يحضر بقوة في الممارسات الاقتصادية التي تقوم على الشريعة الإسلامية في كل توجهاتها.

فالمسلم يوجه بالنية كل أنشطته في الحياة إلى مرضاة الله عز وجل لأنه أمره بذلك، أمره بان تكون حياته بكل أنشطتها له، فمرضاة الله هي الغاية التي يبتغيها كل مسلم بكل نشاط يؤديه، و هي الربح الحقيقي إذا حصل عليه و خسر كل شيء فهو رابح، أما إذا خسره و كسب كل شيء فقد خسر الدنيا و الآخرة و ذلك الخسران المبين[20]

III. المسؤولية الاجتماعية ودورها في التنمية المستدامة.

1. مفهوم التنمية المستدامة.

ظهر هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية وبالأخص بعد ظهور الدول المستقلة حديثا ، التي كانت عبارة عن مستعمرات.(وتعني إحداث تغيرات في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتكون في مستوى تطلعات هذه الشعوب[21].

التنمية لغة معناها النماء أي الازدياد التدريجي.يقال نما المال نموا أي تراكم و كثر. يستخدم اصطلاح التنمية بمعنى الزيادة في المستويات الاقتصادية و الاجتماعية و غيرها.[22]

تعرف بأنها التنمية الحقيقية ذات القدرة على الاستمرار والتواصل من منظور استخدامها للموارد الطبيعية والتي يمكن أن تحدث من خلال إستراتيجية تتخذ التوازن البيئي كمحور ضابط لها لذلك التوازن الذي يمكن أن يتحقق من خلال الإطار الاجتماعي البيئي والذي يهدف إلى رفع معيشة الأفراد من خلال النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحافظ على تكامل الإطار البيئي وبعبارة بسيطة فان التنمية المستدامة هي تنمية تستجيب لحاجات الأجيال

الراهنة دوتن تعريض قدرة الأجيال القادمة للاستجابة لحاجاتها أيضا للخطر أو هي تحقيق تنمية الأجيال الحاضرة دون المساس بحقوق الأجيال القادمة.[23]

عبارة عن نمط من أنماط استخدام الموارد المتاحة بهدف تلبية الحاجات البشرية ، مع الحفاظ في نفس الوقت على البيئة، وبحيث تكون الاستجابة لهذه الحاجات ليس من أجل الحاضر أو المستقبل القريب فقط ، بل من أجل المستقبل بجميع أبعاده[24]

و لكي تتحقق التنمية المستدامة يتطلب توافر ستة أنظمة:

- نظام إنتاجي: يراعي كل الاعتبارات اللازمة لحفظ القاعدة البيئي للتنمية.
- نظام تكنولوجي: يبحث باستمرار عن إيجاد حلول مبتكرة و تكنولوجيا صديقة البيئة.
- نظام اقتصادي: قادر على توليد الفوائض و المعرفة التقنية على أسس التواصل و الاستقلالية.
- نظام سياسي : يؤمن المشاركة و التواصل المؤثر في صناعة القرارات.
- نظام إداري: يتسم بالمرونة و القدرة على التصحيح الذاتي.
- نظام دولي: يراعي أنماط و أشكال التواصلية في التجارة و التمويل. [25]

2. مبادئ التمنية المستدامة.

مع بداية القرن 21 بدأت تتبلور عقيدة جديدة تبناها البنك العالمي للإنشاء والتعمير تقوم على 10 مبادئ أساسية:

- ✓ تحديد الأولويات بعناية، ووضع خطة قائمة على التحليل للآثار الصحية والإنتاجية والايكولوجية(بيئية) وتحديد المشكلات الواجب التصدي لها بفعالية. اغتنام الفرص لتحقيق الربح لكل الأطراف.
- ✓ الاستفادة من كل دولار ، تحديد السب الأقل تكلفة لتصدي للمشكلات البيئية.
- ✓ استخدام القدرات الإدارية والتنظيمية، بإدخال مبدأ الحوافز على المؤسسات التي تسعى إلى التقليل من أخطار البيئة.
- ✓ استخدام أدوات السوق حيثما يكون ممكنا مثل فرص الضرائب ورسوم على انبعاث الغاز وتدفق النفايات.
- ✓ العمل على القطاع الخاص، باعتباره عنصرا أساسيا في العملية الاستثمارية وتوجيه التمويل الخاص صوب أنشطة تحسين البيئة مثل مرافق معالجة النفايات وتحسين كفاءة الطاقة.
- ✓ اشتراك المجتمع المدني في عملية التنمية وذلك بنشر الوعي.
- ✓ توظيف الشراكة التي تحقق نجاحا والتصدي لبعض قضايا البيئة.
- ✓ تحسين الأداء الإداري المبني على الكفاءة والفعالية.
- ✓ إدماج البيئة من البداية، وهذا ما يخفض تكاليف الوقاية والمعالجة.[26]

3. دور المسؤولية الاجتماعية في تحقيق التنمية المستدامة.

مفهومي المسؤولية الاجتماعية والتنمية المستدامة مفهومين قريبين جدا، فالأول يعني دمج الاهتمامات الاجتماعية والبيئية في النشاطات التجارية، ويتطلب الثاني التوفيق بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

هناك علاقات معروفة بين المؤسسة والمجتمع. فالمؤسسة تثري أو تفقر محيطها من خلال نشاطها الاقتصادي، ولكن من جهة أخرى لا يمكن للمؤسسة أن تستثمر لسنوات من دون أن توفر بيئة تتوفر فيها شروط نجاحها واستمرارها

(عمال مهرة، بنى تحتية، خدمات عمومية ذات جودة عالية، استقرار تكامل الجسم الاجتماعي...) لذلك فان توفير المؤسسة لهذا الجو الملائم للعمل يعود عليها بالمنفعة في الأمد الطويل.

وتضمين المؤسسة في التنمية الاقتصادية المحلية لا يكون بالتركيز فقط على الجوانب الأخلاقية في المجتمع ولكن أيضا على أساس منطق الشرعية والفعالية، فالمؤسسة في نهاية الأمر لا تتعامل على أساس من المشاعر والوطنية فحسب عندما تستثمر لإعادة تهيئة محيطها بل هي تقوم بذلك لأنها تنتظر عائدا من وراء، ذلك أن العمل في محيط حساس ومضطرب اجتماعيا يعتبر تهديدا لعمل المؤسسة وتواجدها، في حين أن النسيج الاجتماعي المتماسك يحسن من أداء المؤسسة، كما أن العائد على الاستثمار بالنسبة للمؤسسة المنخرطة في خدمة المجتمع ما هو في واقع الأمر سوى إثراء وتحسين لنوعية الموارد الموجودة في المحيط والتي قد تحتاج لها المؤسسة، لأجل ذلك كله من المهم للمؤسسة أن تعبر عن التزامها تجاه المجتمع من خلال خلق مناصب الشغل، تكوين العاملين، تحسين الخدمة للزبائن، الاندماج في الخدمات التطوعية وحملات التوعية، احترام حقوق الإنسان وحماية البيئية، فكلما كانت المؤسسة عضوا فعالا في المجتمع يمكن أن تندمج بنجاح في هذا المجتمع[27]

عند التأمل في مظاهر المسؤولية الاجتماعية المختلفة نجد أنها مما ورد في التشريع الإسلامي تحت مسميات مختلفة: فبعضها من قبيل التكافل الاجتماعي و أخرى من باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و غيرها من باب رفع الضرر و الالتزام بالممارسات الأخلاقية التي ورد في حقها إما نص قرآني أو حديث نبوي شريف.ويمكن للوقف الإسلامي أن يلعب دورا مهما في تفعيل مبدأ المسؤولية الاجتماعية للشركات. فنظام الوقف من النظم الدينية التي أصبحت في ظل الإسلام مؤسسة عظمى لها أبعاد متشعبة دينية واجتماعية واقتصادية وثقافية وإنسانية، كانت هذه المؤسسة في ظل الحضارة الإسلامية تجسيداً حياً للسماحة والعطاء والتضامن والتكافل، غطت أنشطتها سائر أوجه الحياة الاجتماعية وامتدت لتشمل المساجد والمرافق التابعة لها والدعوة والجهاد في سبيل الله، والمدارس ودور العلم والمكتبات، والمؤسسات الخيرية، وكفالة الضعفاء والفقراء والمساكين والأرامل، والمؤسسات الصحية. ويعد الوقف من ضمن أفضل الأدوات التي تصلح للتحقيق التنمية الشاملة المستدامة، وكذلك تكون نقطة الالتقاء بين قطاع الأعمال والعمل التنموي ، حيث سيكون له أوجه اقتصادية واجتماعية في ذات الوقت وفى حالة تبنى الوقف كأحد أدوات عمل مسئولية الشركات سينعكس ذلك بشكل إيجابي على قطاع الأعمال وكذلك على المجتمع بشكل عام ويتمثل ذلك فى :

- ✓ تحقيق التنمية المستدامة عن طريق الاستدامة التي تحققها الأوقاف .

- ✓ تحقيق ممارسة المسؤولية الاجتماعية للشركات بشكل أفضل، ليشمل أيضا الشركات المتوسطة والصغيرة عن طريق المساهمة في الوقفيات.
- ✓ إمكانية مساهمة العديد من الشركات في عمل وقفية واحدة وفتح المجال للمشاركة في الوقفية لتنمية مواردها، وتحقيق التنسيق بين الشركات المختلفة في مجال المسؤولية الاجتماعية.
- ✓ إمكانية عمل مشروعات قومية وإستراتيجية لحل المشكلات المزمنة مثل البطالة ومحو الأمية وغيرها.
- ✓ تقليل الاعتماد على المنح الأجنبية، والربط بين قطاع الأعمال والحكومة والمجتمع المدني تحقيق مصالح مختلفة للأطراف الثلاثة. [28]

إن التكافل الاجتماعي يقوي أواصر الأخوة والتراحم والتعاطف بين أفراد المجتمع الإسلامي وينزع الحقد والبغضاء من قلوبهم فتسود المحبة والألفة والتعاون بينهم مما يكون له أثر واضح في إنجاح عملية التنمية المستدامة. [29]

الخاتمة.

إن القوانين والتشريعات مهما كانت دقيقة فإنها لا تحمي المجتمعات والحقوق ولا توفر وحدها الأمن والثقة، ولكنها حين تعمل في بيئة أخلاقية فإنها تحقق كفاءة عالية في التنمية والإصلاح، وفي كثير من الأحيان تفوق السلطات الواقعية والفكرية السلطة المادية. وللإشارة فإن المسؤولية الاجتماعية لم تظهر آثارها بعد بشكل ملموس، والدليل على ذلك مساحة الفقر والحرمان التي يعاني منها نصف سكان العالم

وبناءا على ما سبق يتضح أن أداء المسؤولية الاجتماعية في الإسلام واجب ديني وفضيلة إسلامية سبق الإسلام بها الأفكار والنظم المعاصرة، وواجب المسلمين أداء هذه المسؤولية استجابة لأمر الله عز وجل ولأمر رسوله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكون تقليدا أو تنفيذا لاتفاق عالمي أو دعوات من نظم مستوردة. غير أننا نجد العكس تماما فقد أصبح كل يعيش في عزلة لا يحمل إلا همّه فقط ولا يشعر بالآخر ولا يحاول المشاركة والإسهام في القضاء على مشكلات المجتمع وتعزيز أواصر المودة والألفة بين أفراده.

إن المسؤولية الاجتماعية معناها وببساطة شديدة أن نعود إلى مثلنا وديننا وأخلاقنا لنعطي الحياة معنى ولنساهم جميعا في تنمية مجتمعاتنا في الوقت الحاضر وتحسينها مع ضمان مستقبل الأجيال القادمة، فلو نظرنا في ديننا لوجدناه يحث على التحلي بروح المسؤولية اتجاه المجتمع الذي ننتمي إليه" ومن كان له فضل زاد أو فضل ظهر جاد به لمن لا يملك ، وأن تعمل خير من أن تسأل الناس" ، أليست كل تلك الإمضاءات من صميم شعائرنا الدينية، فيكفي أن تبع القرآن الكريم والسنة النبوية لنحقق ما عجزت دول الغرب عنه وهو ببساطة ضمان مستقبل أكثر ازدهارا .

قائمة المراجع.

[1]قادري محمد، **المسؤولية الاجتماعية للشركات المتعددة الجنسيات في البلدان النامية بين الواقع و التحديات**. الملتقى الدولي حول" منظمات الأعمال و المسؤولية الاجتماعية " 15/14 فيفري 2012 ، جامعة بشار، ص 3.

[2]بومدين بروال، **دور الإبداع التكنولوجي في تحقيق متطلبات المسؤولية الاجتماعية و البيئية للمؤسسات**. الملتقى الدولي حول الإبداع و التغيير التنظيمي في المنظمات الحديثة، دراسة وتحليل تجارب وطنية ودولية، 18 و 19 ماي 2011، جامعة البليدة، ص 3.

[3] مقدم وهيبة، **سياسات وبرامج المسؤولية الاجتماعية تجاه الموارد البشرية في منظمات الأعمال (دراسة حالة ثلاث شركات عربية)**. الملتقى الدولي الخامس حول راس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في ظل الاقتصاديات الحديثة، يومي 13- 14 ديسمبر 2011، جامعة الشلف، ص 4.

[4] مقدم وهيبة، **دور المسؤولية الاجتماعية لمنشآت الأعمال في دعم نظم الإدارة البيئية لتحقيق التنمية المستدامة**. ص ص 14-15 www.iefpedia.com

[5] صالح السحسباني، **المسؤولية الاجتماعية ودورها في مشاركة القطاع الخاص في التنمية "حالة تطبيقية المملكة العربية السعودية"**. المؤتمر الدولي حول القطاع الخاص في التنمية "تقييم واستشراف"، 23-25مارس 2009، بيروت، ص ص7-8.

[6]مولاي لخضر عبد الرزاق، بوزيد سايح، **دور الاقتصاد الإسلامي في تعزيز مبادئ المسؤولية الاجتماعية للشركات**. الملتقى الدولي حول الاقتصاد الإسلامي الواقع ورهانات المستقبل، 23 24فيفري 2011، جامعة غرداية، ص 5.

[7] فيروز شين، نوال شين،**دور آليات الحوكمة في تعزيز المسؤولية الاجتماعية للمنظمة**. الملتقى الوطني الأول حول حوكمة الشركات كآلية للحد من الفساد المالي والإداري، يومي 06-07-ماي 2012، بسكرة، ص 10.

[8]رايس حدة،نوي فطيمة الزهرة، **دور المسؤولية الاجتماعية في معالجة الأزمات الاقتصادية" دراسة إسلامية"**. الملتقى الوطني الأول حول حوكمة الشركات كآلية للحد من الفساد المالي والإداري، يومي 06-07-ماي 2012، بسكرة، ص 6.

[9]وهيبة مقدم، **المسؤولية الاجتماعية للشركات من منظور الاقتصاد الإسلامي**. الملتقى الدولي حول الاقتصاد الإسلامي الواقع ورهانات المستقبل،23-24 فيفري 2011، جامعة غرداية، ص ص 7-8

[10] سورة البقرة الآية 184

[11]سورة البقرة الآية177

[12]سورة االذاريات الآية19

[13]سورة الزلزلة الآية7

[14] إبراهيم العسل، **التنمية في الإسلام (مفاهيم، مناهج، تطبيقات)**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ص ص 75-76.

[15]سورة النورالاية 33

[16]سورة التوبة:الاية 104

[17]سورة المائدة الاية 2

[18]علاء الدين الزعتري، **المسؤولية الاجتماعية للشركات**، موقع موسوعة الاقتصاد و التمويل الإسلامي، http://iefpedia.com

[19] www. kenanaonline.com

[20]احمد يوسف، **القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي**، دار الثقافة للنشر و التوزيع، مصر، 1990، ص44.

[21] خبابه عبد الله، **التنمية الشاملة المستدامة المبادئ و التنفيذ**،المؤتمر العلمي الدولي بعنوان: التنمية المستدامة و الكفاءة الاستخدام للموارد المتاحة، جامعة فرحات عباس- سطيف- أيام 08/07 أفريل 2008، ص 2.

[22] إسماعيل زكي محمد، "**التنمية بين المفاهيم الاجتماعية و القيم الأخلاقية**"، مجلة كلية العلوم العربية، العدد الرابع، 1400هـ جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، الرياض، ص 15.

[23]بارك نعيمة، زروخي فيروز، **فعالية إستراتيجية إدارة الموارد المائية في تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي"التوصيات والمتطلبات"**. الملتقى الوطني حول اقتصاديات المياه والتنمية المستدامة يومي 30 نوفمبر1ديسمبر 2011بسكرة، ص 7.

[24]أبو بكر مصطفى بعيرة، أنس أبوبكر بعيرة، **لا تنمية مستدامة بدون إدارة قوامة**، مؤتمر التنمية المستدامة يومي 28، 29 جوان 2008 ، جامعة قاريونس ليبيا، ص 3

[25] احمد أبو اليزيد الرسول، **التنمية المتواصلة: الأبعاد و المنهج**، القاهرة، مكتبة شباب المعرفة، 2007، ص ص 76-77.

[26]نقوت وفاء، ريم قصوري، **الأمن المائي العربي لمواجهة التحديات المستقبلية للتنمية المستدامة**. الملتقى الوطني حول اقتصاديات المياه والتنمية المستدامة يومي 30 نوفمبر1ديسمبر 2011بسكرة، ص 7

[27] بابا قادر، وهيبة مقدم، **المسؤولية الاجتماعية ميزة إستراتيجية خالقة للقيمة "دراسة حالة مؤسسة سوناطراك"**.ص 15.http://iefpedia.com

[28]حسين عبد المطلب الأسرج، **الوقف الإسلامي وتفعيل المسؤولية الاجتماعية للشركات**. مدرجة تحت قسم المسؤولية الاجتماعية رؤية اسلاميةhttp://iefpedia.com

[29]عدنان محمد يوسف ربابعة، **ركائز الاستثمار والتنمية في السنة النبوية**. ندوة القيم الحضارية في السنة النبوية في دبي- الإمارات العربية المتحدة، صhttp://iefpedia.com7